بدأت القصة لما اتولدت بنت فى عيلة بسيطة فى بلد هنرفض ذكر اسمها لان النسب ليها يعتبر عار كبير اتولدت بنت وحيدة لاب وام منفصلين عاشت فى بيت يحكمه النساء كما هى عادات الغجر ، الجدة والمنفصلة عن الجد اللى قرر يسيب البيت ويهرب او هو فاكر كدة لكن هو فى الحقيقة انطرد منه بعد سنين من المعاملة القاسية كما هو حال صاحبة القصة وكإن التاريخ بيتكرر وبيعيد نفسه ، وفى النهاية مات لوحده والجيران اكتشفت جثته ، والخالين الصغير اللى اشبه بشيطان مدلل ؛ عايش لوحده فى ارجاء القاهرة ومن صغره كل البيت يخاف منه والاقرب فى السن من صاحبة القصة ، والخال الكبير المعلم القاسى اللى كان كل دوره فى الحياة يضرب وقت الغلط ويعذب فى الجسم بالضرب بلا رحمة ؛ طلع اجيال مكبوتين ومرعوبين اتربوا على ضرب الحزام والجزم حتى مع اهل بيته (مراته وعياله واهلها) كان شديد اللى كان بيعتبرهم بالمناسبة اهله الحقيقين ، والأم المطلقة اللى كانت دايما مضحية او مظلومة كما اتربت صاحبة القصة على المنهج ده وحفظته صم ، الأم كانت دايما هى المضحية اللى لولاها كانت صاحبة القصة اترمت فى الشارع ومبقالهاش حد وان دايما الام احسن من الاب اللى رمى بنته ، الام كانت بتتكسف تقول حد الا القرايب ان صاحبة القصة بنتها كانت دايما تقول اختى الصغيرة ، كانت امرأة ذكية شديدة الجمال كل الرجال يتمنوها ، كانت صاحبة حكمة ودخاء تقدر تخلص اى شئ من اوراق او امور تخص العيلة وكإنها هى عمود البيت ومهما كانت الغاية فإنها تبرر الوسيلة، صاحبة القصة كانت طفلة عايشة فى بيت اهل امها لا تملك اى شئ الا انها تتنقل من بيت لبيت ويحدفوها على بعض كل شوية زى الكرتونة ، لا تملك حجرة ولا رأى فى اى شئ لان دوما كانت تسمع (انتى عالة علينا ده مش بيت ابوكى) كانت حياتها عبارة عن دراسة وفى الاجازات تسافر الى مدن او بيوت لا تحبها من الاقارب لان الجدة كانت دوما تذهب بالعيلة كلها لخدمة القرايب بلا مبرر ، كبرت البنت شافت شوية خدامين ومكانش عندها سبب او مبرر تفهم ليه امها بتعمل فيها كدة ، ومن مهانة عيلة امها لعيلة ابوها ياقلبى لاتحزن ، اتهانت كتير من كل اللى عاشت معاهم ، دايما كانت بتتعاير بإن امها مرميتهاش وخليتها معاها ، وفضلت الام تكرر اسطوانة انا كسرت شبابى عليكى ومتجوزتش ، الى ان جاء الزوج المناسب ، ومع الرغم من ان الاسطوانة كانت لا تنتهى لكن لا مانع من حين لاخر لرؤية عريس ربما يكون المنفذ والمتنفس من الفقر ، وحين يأتى كل عريس ونكتشف انه غير مناسب نرفضه لا لبكاء واستجداء صاحبة القصة ولكن لانه ليس فرصة الاحلام، بين السنوات كانت صاحبة القصة تكبر تدريجيا وتقضى حياتها بين الدراسة وبين جبروت وتسلط الجدة والشتائم البذيئة والنعوت القبيحة التى لا تليق بإن تسمعها طفلة ، والخوض فى بعض الأعراض ولا مانع من بعض الغيبة او النميمة عن الجيران والاقارب وظاهريا نحن من اصحاب الفروض والمتقين المتقربون الى الله ومن العائلات الميسورة نسبيا ، كانت الام رغم جمالها الا انها لم تكن تحب العمل وترى نفسها لا تصلح لاى عمل وحاولت العمل ولكنها فشلت ، وكبرت صاحبة القصة وفهمت تفاصيل خفية لم تكن لطفلة تعلمها وتساءلت كيف لعائلة كاملة لا مصدر دخل لها ان تظل كل تلك السنوات تنفق وتجد المال لتعيش ولكن لا رد علما بإن الاب والجد لا ينفقون حسب رواية الام والجدة ، وهناك رواية اخرى تقول ان الام تتحايل على الاب لتأخذ منه النقود فى نظير بقاء الفتاة معها لتربيتها فى حين ان فيما بينهم تكسر تلك الطفلة كمن تعيش شفقة منهم وانهم لم يقتلوها او يرموها فى صفائح القمامة او فى الطرقات ، كانت الطفلة دوما تسمع اللوم والتأنيب حين تقول الام " انتى غلطة حياتى " او "ياريتنى كنت سيبتك تموتى قبل ما اولدك " وكإن الحياة نعيما كبيرا انعموا به عليها واغمروها من خيرهم ، ولا مانع احيانا من ذكر الاب بالعاجز جنسيا والخوض فى الأعراض وما شابه والكثير من الحكاوى عن قذارة الاب الذى كانت دوما الام تطلب من الابنة ان تتظاهر بحبه وان تكون مؤدبة معه ، كبرت الابنة وبدأت تصبح سر وعون امها ولكن كانت الام دوما لا ترضى وكانت دوما تطلب من الابنة ان تكون مثل بنات صديقاتها التى كانت دائما تحسدهن على الاطفال المؤدبين الطيبين وتقول ان حظها الاسود رزقها بطفلة وقحة ، كانت الطفلة دوما تسمع جدتها تقول انها حين سوف تكبر سوف تصبح عاهرة مثل فتاتين من العائلة ضاقت بهم الاحوال واستنجدوا ولم ينالوا الا الذل والخوض

Text to PDF

فى اعراضهم مرار وتكررا من كل تلك العائلة اللعينة ، حين بدأت تكبر الطفلة وبلغت من العمر ال ١٥ عام وبعد سنوات من الضرب الذى جعلها طفلة جبانة ولكن سليطة اللسان ، وحين بلغت ذلك العمر ساعدت امها لكى تتزوج الشخص التى ارادته وحين عارضت العيلة جميعا وقفت البنت امامهم وشجعت امها ، تلك المرأة التى كانت دوما تحسها على التقرب والتودد من اى شاب او رجل ان كانت لنا عنده مثلحة او ربما يحضر العطايا والهدايا ولا نريد ان نذكر امثلة ، المضحك فى الامر ان بعد كل الاذى النفسى الذى شاهدته الام من العائلة ظلت ملاصقة لهم كانت ترمى ابنتها فى الشوار اياما واسابيعا ثم شهور ثم سنوات ، فى البداية بعد يومان او ثلاثة جلست تبكى وتشعر بالندم على الابنة التى ذاقت طعم الشوارع ولكن مع الوقت اصبح الامر طبيعيا فتسكن الفتاة فى منازل الطلبة او المغتربين ثم تعود لتأخذ حسنة او اشفاقا عدة ايام او اسابيع على الاكثر ثم تمل منها الام وتعيد الكرة ، كانت تخشى على زوجها فدائما ما كانت تلفق القصص والشائعات حتى تظهر مظلومة ولكن زوجها كان رجل طيب كل ذنبه انه تزوج بامرأة اخرى بجانب زوجته واكرمها واحسن معاملتها لاكثر من عشر سنوات ، اما الابنة فذاقت الاهانات مرارا وتكرارا منذ بداية انها كانت اغلب الاوقات تلبس من ملابس والدتها او خالها لم تكن تمتلك الملابس او المال ، كانت فقيرة تعيش بالشفقة فى منزل مرفه ،حين كانت ترضى عنها الام تارة تعطيها حقيبة او حذاء جديد من ما اشترتهم لنفسها ، وتارة تغضب فتضربها وتأخذهم مرة اخرى ، تارة كانت تشفق على الفتاة التى حين يأتيها مناسبة او شيئا مهما تعطيها من ملابسها رغم فرق الحجم والوزن مع قليل من التضييق او التصغير بالابرة والخيط وحذاء مقفول لا يظهر فيه فرق حجم القدم ، وحقيقة مع ملاحظات ان الازياء غير مناسبة لانها لسن اكبر قليلا ، وتارة تعطف على الفتاة بالاكل والعطايا مثل الفتيات اليتامى التى كانت تعطيهم الصدقة ، وتارة تجلسها بمنزلها سرا لكسر وذل انفاسها بحجة انها تخشى من زوجها ان يطرد الفتاة فلا تجد ملجأ لها اخر ، فحين كان يأتى الزوج كانت تختبئ فى الفتاة مع الكلاب فى غرفة وهو يعلم انها بالداخل ولكنه طيب القلب ، كان تأخذ معها الطعام والشراب وتذهب الى الحمام قبل مجيئه وذات مرة كانت تأخذ اقراص طبية تستلزم دخول الحمام اكثر من مرة فجاء على غفلة فوضعت ام جردلا للفتاة داخل الغرفة لقضاء الحاجة مثل المساجين ، تارة كانت تقول للطفلة انها تدخر لشراء (جهاز) اى ملابس وادوات كهربائية وغيرها للفتاة لحين تكبر وتتزوج ولكن خرجت الفتاة بملابس اخذتها شفقة من المحطيين بها من اقارب واصدقاء (والجهاز) اخذته الام لنفسها حين اصبحت البنت فى عمر ال ٢١ عام ، كانت الفتاة تعانى من مشاكل فى الفك والاسنان والنظر ، ذهبت الام لعمل عملية تجميلية للنظر ولم تقل ولكى لا تطلب الابنة مثيلتها لانها تحتاجها ولا ترى قالت لها انها عملية علاجية بسبب تقدم السن واتهمت الابنة بإنها مقصرة فى خدمتها ورعايتها لانها يجب ان تدخل المطبخ وتعد الطعام ، كانت كلما تخرجان فى نزهة او لقضاء شيئا يتشاجرون وتقول الام هذه اخر نوبة تأتى معى للخارج فتكره الفتاة نفسها ، كانوا دوما يتنمرون على الفتاة ويهينوها ولكنها كانت تحبهم وتجلد ذاتها لانها ضايقتهم ، الغريب فى الامر ان الطفلة التى كانت تمقت افعالا وتراها منحرفة اصبحت تفعلها فى صباها وشبابها بدون اى شعور او احساس بالذنب ، كانت الام دوما تسافر وتترك الطفلة الصغيرة فى المنزل بمفردها واحيانا ترسلها الى السجن (منزل الاب) وكانت الام دوما تخرج مع اصدقائها واقاربها يذهبون للمولات والكافيهات والسينمات والطفلة بالمنزل لانه من غير المقبول ان تصطحب طفلة أثناء خروجها مع شاب ، شهدت الطفلة الكثير من الاسرار والمعاير واللوم واحيانا السب والضرب ، الضرب من كل افراد المنزل تقريبا واشدهم الخال الاكبر الذى حتى يومنا هذا كبرت تلك الفتاة واصبحت شابة قوية لا يستطيع احد ان يقتحم حدودها ببساطة ولكن حين تسمع صوت مفتاح فى باب المنزل المجاور للجيران تستيقظ من النوم فزعة متذكرة الخال حين يتصلون به فيأتى ليضرب بوحشية ويعاقب ، انضربت الفتاة بكل ادوات الضرب بدء بالاحذية وسيور الغسالات والاقلام وسماعة الدوش والاسلاك الكهربائية وساندة الابواب وغيرها ، وفى سن ال ١٥ فتحت رأسها الام بفاز كبيرة الحجم وكان لاول مرة ترى وتشعر بملمس الدم البارد وتسمع مقولة (اكبسيها بن عشان الدم يقف)

Text to PDF

تعرضت الفتاة ايضا للتحرش من والدتها فى طفولتها وسمعت احاديثا تدور عن ماهية الشذوذ الجنسى بين احد الاقارب ولم تفهم المعنى وقتها كما ان الام دائما كان تقول ان الاب ايضا كان شاذ وكانت دوما ما تكرر تلك القصة الجدة مع مزيد من السخرية والاهانة
لا استطيع تذكر المزيد الا ان الفتاة انتهى بها الحال فى منزل متواضع بأثاث متواضع لا احد لها ولا شيئما تمتلكه ولا حتى مصدرا للدخل تعانى من ضيق الرزق والحال فقط قطع اثاث قليلة داخل منزل ايجار على البلاط يفتقر للكثير من الموارد ولكنه نعمة ورحمة فهو اول منزل تسطتيع ان تقول الفتاة انه منزل وليس سكن مغتربين كما كانت تتنقل دوما ، مال شبه معدوم ،.موارد غير موجودة ، وحدة قاتلة ، لا حياة كريمة ولا وظيفة مريحة بدون اهانة ولا حتى حلم النجاح والصعود كإبناء جيلها والفنانين الاسبق الذين كانت حياتهم معاناة ولكنها تعلم ان معانتها لم تقتصر على الجوع والحرمان فقط ، ضاقت صغيرة التشتت والضياع وضاقت كبيرة الجوع والفقر والحرمان ، عاشت حياة بلا حياة فهى لا تمتلك الكثير من الخبرات او الشهادات او المواهب التى تساعدها فى توفير مصدر دخل ولا تمتلك حتى الصحة ، تقضى ايام طويلة فى الجوع والفقر لا ملجأ امن لها لتختبئ به ولم توفق مع اصدقاء او رجل فى اى علاقة من اى نوع فظلت وحيدة تعانى من رعب فراغ الايام والكوابيس المزعجة ليلا واحيانا الامراض فلا تمتلك اى نقود لعلاج نفسها او توفير نفقات المعيشة الاساسية ،كان لها احلاما وطموحات لكنها فقيرة لا تمتلك شيئا لتسعى به خلف طموحها ولا حتى وظيفة توفر حياة كريمة واصبحت حياتها وحياة امها تتكرر تلقائيا ،
اما الاب عاشت كل عمرها تكرهه واليوم فقط اكتشفت انه كان اقل ضررا من الام كثيرا ، لان كل ذكرياتها معه الايام التى كانت تزوره فيها وكانت تأبى ان تقول له ابى فكانت تناديه بأسمه ،لم تشعر فى منزله سوى انها غريبة غير مرتاحة او مرحب بها ، كان يعمل مدرس تربية دينية يصادق الفتيات المراهقات او النساء المطلقات ولكنه اغلب الظن كما قالت الام لم يحب النساء قط تزوج من الام كبيرا وفى اقل من عاما او ثلاثة على اكثر تطلقا ، ومن بعدها صار وحيدا عازبا يحب اخوته وابناءهم اكثر من ابنته الذى كانوا يكرهونها جميع ويعتبرونها ليست منهم وانما غريبة ابنة امرأة يمقتونها ، فى الطفولة كانوا يعطفون ومع السنين والكبر اصبحوا يكرهون ويعاملون معاملة اقسى واشد ، كان الاب يذهب الى عمله صباحا ويترك ابنته وحيدة بلا طعام او يتركها تلعب فى الفناء مع ابناء وبنات عمومتها ، ثم يأتى ليلا ليأتى له اقاربه واصحابه يتعاطون المخدرات وما خفى كان اعظم ، كلما اتذكره انه لم يغلق باب المنزل قط دوما ما كان يدخل الناس يلا اذن او مراعاة لحرمات المنازل ، وكان يبعثنى لالعب او اجلس مع بنات عمى وحمد لله اننى لم اجلس يوما او اشاهد، وحين كبرت حرمنى من حقى الشرعى فى ورثى وكتب كل ما يمتلك بتوكيل عام لاخوته ، والموقف الذى اذكره له ايضا يوما من ذات الايام احضر طعاما كنت اشتيهه ورفض ان يشترى لى مثله وذهب لمنزله واتصل بى فى الهاتف وجلس يتلذذ بالطعام فى اذنى وانا ابكى ، تخوننى الذاكرة من رحمة الله لكى لا اتذكر ماهو يؤلم اكثر وليشهد الله اننى لم ازد فى القصة ولم اذكر اسماء او مواقف صعبة على نفسى كثير من أشخاص تمكنوا من الفرصة من اذالالنا عن طريق الجدة

Text to PDF